

# سلامة القلب

تأليف

د. خالد بن عبدالعزيز الباتلي  
عضو هيئة التدريس بجامعة  
الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ح خالد عبدالعزيز حمد الباتلي ١٤٣٦هـ  
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الباتلي خالد عبدالعزيز حمد  
سلامة القلب / خالد عبدالعزيز الباتلي - الرياض، ١٤٣٦هـ

٤٨ ص س

ردمك ٢ - ٧٨٢٩ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الوعظ والإرشاد ٢- القلب ، العنوان

ديوي ٢١٣ /٤٠٠٨ /١٤٣٦

رقم الإيداع: ١٤٣٦ /٤٠٠٨

ردمك ٢ - ٧٨٢٩ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ

إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ

اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ

وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]،

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا  
 يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ  
 يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:  
 ٧١].

أما بعد:-

فقد بعث النبي ﷺ في عرب جهال، غلبت عليهم  
 النعرات والعداوات والغارات، فجمعهم الله بدعوته وألف  
 بين قلوبهم بعد تنافر وتناحر، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ  
 الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٦٢] وَأَلْفَ بَيْنَ  
 قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ  
 بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ  
 حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وقال ﷺ للأَنْصار: يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي؟. متفق عليه

فجاء النبي ﷺ بهذا الدعوة المباركة التي من مقاصدها وأصولها: الحث على الاجتماع، والتحذير من التفرق والنزاع، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:].

ومما جاء به الإسلام، أنه دين الطهارة والنظافة، الطهارة الحسية والمعنوية. طهارة البدن من النجاسات والأقذار، وطهارة القلب من كل ما يدينسه ويكدر صفاءه.

إن البعض من الناس يعتني بنظافة بدنه وثيابه عناية فائقة، ولا يتساهل بأدنى وسخ يصيب ثوبه أو بدنه،

لكن قلبه وباطنه مشحون بالأوساخ والمقدرات المعنوية ولا يحرك لها ساكنا.

إن سلامة الصدر تعني سلامته من كل غل وغش، وحسد وحققد، وبغضاء وشحناء، وكرهية وسوء ظن بالمسلمين.

كان النبي ﷺ يدعو بسلامة القلب، وعلم بعض أصحابه ذلك، فقال ﷺ: ( يا شداد بن أوس! إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة، فأكثر هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم؛ إنك أنت علام الغيوب) رواه أحمد والطبراني وصححه الألباني في الصحيحة.

وكان من دعاء النبي ﷺ: (رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي واهد قلبي وسدد لساني وثبت حجتي واسلل سخيمة قلبي). رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع، والسخيمة الغل والحقد.

ومن دعاء المؤمنين كما قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾  
[سورة الحشر: ١٠].

وكان النبي ﷺ يحب هذا الخصلة، ويكره ما يكدرها، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر" رواه أبو داود.

لقد قرر ديننا هذا الأمر وأكد عليه في نصوص كثيرة، قال تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال: ١]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام) متفق عليه.

بل من أراد النجاة يوم القيامة فليعتن بسلامة قلبه في الدنيا فإن يوم القيامة (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) فالقلب ملك الأعضاء، كما قال صلى الله عليه وسلم (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح

الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ... متفق عليه، وقال ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) رواه مسلم.

أخي الكريم ... لقد بلغت هذه الخصلة مبلغا عظيما بمن اتصف بها، وتأمل هذه القصة التي تبين ذلك وتوضحه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا يوما جلوسا عند رسول الله ﷺ، فقال: يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة. قال: فاطلع رجل من أهل الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال، فسلم، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل على مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبدالله بن عمرو

بن العاص وطلب من الرجل أن يؤويه في بيته ثلاث ليال، فقبل الرجل، يقول عبدالله: فلما مضت الثلاث كدت أحقر عمله، قلت: يا عبدالله! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرات: يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة: فاطلعت ثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت. قال: فانصرفت عنه: فلما وليت دعائي فقال: ما هو إلا ما رأيت؛ غير أنني لا أجد في نفسي على أحد من المسلمين غشا، ولا أحسده على ما أعطاه الله إياه. فقال عبدالله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق. رواه أحمد والطبراني، وصححه سننه ابن كثير في التفسير: (٨/ ٩٩).

ودخل بعض التابعين على أحد الصحابة في مرضه ووجهه يتهلل، فسأله عن سبب تهلل وجهه، فقال: ما من عمل أوثق عندي من خصلتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي سليماً للمسلمين.

إن سلامة الصدر بين المؤمنين من نعم الله العظيمة، وهي من أسباب النصر والقوة ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنُصْرِهِ وَإِلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٣) وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿الأنفال: ٦٣﴾، قال الشوكاني في فتح القدير (٣٢٢/٢): "إن ائتلاف قلوب المؤمنين هو من أسباب النصر التي أيد الله بها رسوله".

والعكس بالعكس فإذا وقعت الفرقة والشحناء حل  
الضعف والهوان ﴿وَلَا تَنزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذَهَبَ  
رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٤]، وواقع الأمة اليوم خير شاهد  
ودليل.

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى \*\*\* خطب ولا تتفرقوا أحاداً  
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً \*\*\* وإذا افتقرن تكسرت أفراداً

إن سلامة الصدر سبب في مغفرة الذنوب مرتين  
في الأسبوع.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تعرض  
الأعمال في كل يوم خميس واثنين فيغفر الله عز وجل في  
ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً إلا امرأ كانت  
بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا هذين حتى  
يصطلحا، اتركوا هذين حتى يصطلحا) رواه مسلم، فيا

عجبا لكل من يزهّد في مغفرة الذنوب مع توالي الأيام بسبب قطيعة بينه وبين أحد إخوانه المسلمين، أما آن أن تصطلحا وترغما الشيطان، وتظفرا بمغفرة الرحمن التي يمن بها في هذين اليومين؟!.

إن هذا الحديث أعظم سائق ودافع للانتصار على النفس وإزالة هذه المشاحنات والمقاطعات بين المسلمين التي تحرم أصحابها هذا الخير والفضل.

إن سليم الصدر نقي الفؤاد من أفضل الناس، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله: أي الناس أفضل؟ قال: (كل مخموم القلب صدوق اللسان)، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: (هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد) رواه ابن ماجه بسند صحيح.

سلامة الصدر من صفات أهل الجنة ﴿إِتِّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَأَمِينٍ

﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ

مُنْقَلِبِينَ ﴿[الحجر: ٤٧].﴾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على أثرهم كآشد كوكب دري في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض ولا تحاسد) رواه ابن ماجه بسند صحيح.

إن سلامة الصدر من صفات خيار عباد الله من الأنبياء وأتباعهم، والعظماء يترفعون عن مبارزة الناس بالعداوة وفتح جبهات مع فلان وعلان، وتأمل معي قصة يوسف عليه السلام مع إخوته، كادوا له وتآمروا

عليه فألقوه في البئر، ثم دارت الأيام وألجأهم الحاجة إليه بعد أن رفعه الله ومكن له، فهل قال: اليوم أرد لكم الكيل وأنتقم منكم كما فعلتم بي؟ كلا، بل وفي لهم الكيل، وقال لهم ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]

ثم عفا عنهم، بل لاطفهم حتى باللفظ وردَّ ما جرى إلى الشيطان ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠].

إنه نموذج عجيب ومثال فريد في سلامة الصدر  
وطهارة القلب، يحسن أن نتأمله حينما نفكر في الانتقام  
من آذانا أو جرت بيننا وبينه خصومة أو نزاع.

يقول بعض السلف: "أفضل الأعمال سلامة  
الصدر وسخاوة النفوس والنصيحة للأمة، وبهذه  
الخصال بلغ من بلغ، لا بكثرة الاجتهاد في الصلاة  
والصوم".

أخي الكريم ... إن أول جريمة حصلت في الأرض  
كانت بسبب الحسد والعداوة في القلوب، حينما وقع  
بين الأخوين قاييل وهاييل ما وقع، فتطور الحسد  
والبغضاء إلى القتل وإزهاق الروح ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ  
نَفْسَهُ، قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾  
[المائدة: ٣٠].

إن سلامة الصدر سبب لسعة الصدر فمن كان قلبه سليماً صافياً ارتاح في حياته وذاق طعم السعادة في أيامه، لأنه لا ينشغل بفلان ماذا قال؟ وماذا فعل فلان؟ وفلان ما سلم عليّ؟ فمن كانت هذه حاله تنكدت أيامه وتنغصت ليليه بأوهام وخيالات، ويجرع نفسه الضغط النفسي والتفكير المتواصل الذي يمنع عنه خيرات كثيرة من حيث لا يشعر.

لا يحمل الحقد من تسمو به الرتب

ولا ينال العلا من طبعه الغضب

ومن فضائل سلامة الصدر: **حفظ اللسان**، فظاهر القلب سليم الصدر عفيف اللسان لأنه يجب الناس، ولا يحمل على أحد منهم شيئاً، أما صاحب الشحنة والبغضاء والعداوات فتجده يتحين الفرص ويتتبع الزلات

والسقطات، ويستغل المجالس بالكلام في فلان واللمز في إعلان أو السعي بالنميمة، أو الكذب والبهتان ليحقق ما تريده نفسه.

**أيها الحبيب...** إن طبائع الناس مختلفة متنوعة، ولا بد لمن يخالط الناس أن يصبر على ما يراه أو يسمعه من الهفوات والجفاء ونحو ذلك، ولا تسير الحياة إلا بالتغاضي والصفح، أما التدقيق والمحاسبة على كل صغيرة وكبيرة فتجر إلى العناء والتعب. والشيطان حريص على إيقاع العداوة بين الناس، فيكبر الصغير ويضخم الأمر ويزرع الشر والفتنة.

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه: (إن الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم) رواه مسلم.

فعلى المرء أن يراعي إخوانه في أقواله وأفعاله ويختار

الحسن واللبق من منطقته وتعامله ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا

الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٥٣]،

وإن صدرت منه هفوة فليبادر إلى الاعتذار، ولن يضره

ذلك بل يرفع منزلته، وإن صدر من أحد خطأ عليه

فليصبر وليتمس له العذر.

عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (المؤمن الذي

يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن

الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) رواه أحمد

بسند صحيح.

وليكن منهج الإنسان في تعامله مع الناس قوله

تعالى: ﴿ خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، والمعنى: خذ الفضل من

أخلاق الناس وأعمالهم، ولا تطلب منهم ما يشق عليهم حتى لا ينفروا. ويقول سبحانه ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧].

### أخي المسلم...

إن سلامة الصدر وطهارة القلب لها وزن عظيم وشأن جسيم في الدين، ولذا اعتنى السلف الصالح بهذا الأمر جدا لعلمهم بمنزلته، قال إياس بن معاوية بن قرّة عن أصحاب النبي ﷺ: كان أفضلهم عندهم أسلمهم صدرا وأقلهم غيبة.

وقال سفیان بن دينار لأبي بشر أحد السلف الصالحين: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا، قال: كانوا يعملون يسيرا ويؤجرون كثيراً، قال سفیان: ولم ذاك؟! قال أبو بشر: لسلامة صدورهم.

ولما حضرت الوفاة أبا دجانة الأنصاري رضي الله عنه كان وجهه يتهلل فقيل له في ذلك، فقال: (ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً).

وقال قاسم الجوعي رحمه الله تعالى: أصل الدين الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل، وأقصر طرق الجنة سلامة الصدر.

ولنا في علية بن زيد رضي الله عنه أسوة حسنة، فذكروا أنه صلى ليلة من الليالي وبكى وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها من مال أو جسد أو عرض، ثم أصبح مع الناس، فقال النبي ﷺ: (أين المتصدق هذه الليلة)؟ فلم يقم إليه أحد ثم قال: (أين المتصدق فليقم) فقام إليه فاخبره فقال النبي

صلى الله عليه وسلم: (أبشر، فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في

الزكاة المتقبلة) رواه البزار وابن مردويه وابن منده كما في الإصابة: (٤/٥٤٦)، وصححه الألباني.

جاء رجل إلى الشعبي فشتمه في ملأ من الناس فقال الشعبي: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك.

قال بعض السلف: المؤمن يطلب معاذير إخوانه، والمنافق يطلب عثراتهم.

أخي الكريم... نريد أن تكون علاقاتنا قائمة على سلامة الصدر وطهارة القلب ونقاء السريرة، صفاء وود، إخاء وحب، قلب سليم ونفس صافية، وصدر يحتمل الزلات ويغفر الأخطاء، ويمحو الإساءة بالإحسان، نغفو ونصفح ونلتمس المعاذير:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد\*\*\*جاءت محاسنه بألف شفيع

إن صاحب القلب السليم الطاهر النقي هو القريب من الناس، المحبوب عندهم، المرغوب في القرب منه والتعامل معه؛ لأنه واضح أمره مأمون عاقبته، لا يعرف المكر والتلون.

نريد أن نحقق هذه المعاني لنكون كالجسد الواحد، كما قال النبي ﷺ (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد... ) متفق عليه.

إن مما يتفطر له القلب أسمى أن نرى التقاطع والتشاحن بين المسلمين، فهذا قريب لا يصل قريبه، قطعه من سنين، وذاك جار لا يسلم على جاره لمشكلة بينهما، وثالث بينه وبين زميله موقف تهاجرا بسببه مدة من الزمان، وأشد من ذلك أن يقع بين الصالحين وهم يسرون سويا في طريق الدعوة إلى الله تعالى، وهكذا انتصر الشيطان في التحريش والتفريق بل حتى بين بعض

الإخوة والأخوات، فإلى متى هذا التقاطع والتنافر والوحشة؟!.

ألا نتنصر على نفوسنا ونتصافح بقلوبنا وأيدينا. إن هذا المقاطعات لا تثمر إلا حرمانا للخيرات، وهما وغما وتفكيراً، وسعيًا في تتبع العيوب والعثرات، وزيادة في الإثم والسيئات.

إن العاقل عليه أن يحسم الأمر ويحزم مع نفسه ويقطع هذه القطيعة فيسلم على أخيه ويصله ولو كان يراه مخطئًا عليه، فخيرهما الذي يبدأ بالسلام، وقد يكون في هذا ثقل وصعوبة على كثير من النفوس، لكن العزيمة والإرادة واستعمال بعض الأسباب التي نشير إليها لاحقاً يحقق المقصود إن شاء الله.

## • أسباب التشاحن والتباغض.

إن سلامة الصدر ونقاء السريرة وطهارة القلب بين المسلمين مطلب عظيم حث عليه الشرع، ورغب فيه ودعا إليه، وسبق بيان فضله ومنزله في الدين، لكن حينما نلتفت فيما حولنا يمنية ويسرة نجد واقعا مؤسفا من انتشار الكراهية والبغضاء، أو العداوة والشحناء، أو القطيعة والنفرة بين بعض المسلمين.

إن هذا الأمر يستدعي قيام المصلحين والناصحين بالبحث عن أسباب ذلك وبيانها للناس للحذر والتحذير منها، فلعلنا نذكر هذه الأسباب لتتقيها قبل أن يحصل بيننا وبين إخواننا شيء مما يكدر صفو الأخوة الإسلامية، فإن الوقاية خير من العلاج. فمن أسباب ذلك:

١- نزع الشيطان: وهو إفساده، قال

تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ

الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ

عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وعن جابر رضي الله عنه عن النبي

صلوات الله عليه قال: (إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون

في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم) رواه

مسلم. فهو يسعى في التحريش بينهم بالخصومات

والمشاحنات والفتن.

وعن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: كنت جالسا مع

النبي صلوات الله عليه ورجلان يستبان فأحدهما احمرَّ وجهه وانتفخت

أوداجه، فقال النبي صلوات الله عليه: إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب

عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان، ذهب عنه

ما يجد. فقالوا له: إن النبي صلوات الله عليه قال تعوذ بالله من

الشيطان، فقال: وهل بي جنون. متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا شتم أبا بكر والنبي صلوات الله عليهما جالس، فجعل النبي صلوات الله عليهما يعجب ويتبسم، فلما أكثر رد عليه بعض قوله، فغضب النبي صلوات الله عليهما وقام، فلحقه أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت، فقال صلوات الله عليهما: "إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان" رواه أحمد بسند صحيح.

نعم أيها الإخوة ... إن الشيطان يصول ويجول ليفسد بين الإخوان، فإذا صار بين اثنين شيء أزر أحدهما لينتصر لنفسه ويرد على الآخر ويوهمه أنه إن سكت فقد هزم، وقل قدره عند الناس، فلا يزال به حتى ينتصر ويرد على أخيه، ثم يترك الثاني ليرد على الأول وهكذا يشعل العداوة والفتنة بينهما. فمن صار بينه وبين أخيه شيء في

نقاش أو خلاف أو موقف ما فليبادر بالتعوذ من الشيطان، وذكر الله تعالى.

٢- **الغضب:** فالغضب مفتاح كل شر، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أوصني. فقال: لا تغضب. فردد مراراً، قال: لا تغضب. رواه البخاري.

الغضب مفتاح كل شر، وهو جمرة تتوقد في قلب ابن آدم، فكم جر من ويلات وعداوات وجرائم، فمن فار دمه وغضب فليسكت وليتوضأ، وقد روي: «إِنَّ الْعُضْبَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ» رواه أبو داود .

وإن كان قائماً فليجلس، كما روى أبو ذرٍّ رضي الله عنه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لنا: "إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع" رواه أبو داود بسند صحيح. وليحذر من

التصرف واتخاذ أي قرار حال الغضب، بل ينتظر حتى يهدأ ويسكن غضبه.

٣- المراء، وهو الجدل فإنه سبب مباشر لنشوء الخلافات، فكثيرا ما تدور الأحاديث في المجالس ثم يقع خلاف في الرأي بين اثنين، فيدافع كل منهما عن رأيه ويجادل، ويشتد المراء وترتفع الأصوات، وغالبا ما تتكدر النفوس بعد ذلك.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه" رواه أبو داود بسند حسن. والزعيم هو الضامن.

عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله: أن سليمان بن داود عليه السلام قال لابنه: "يا بني إياك والمراء فإن نفعه قليل، وهو يهيج العداوة بين الإخوان".

فلنحذر من هذه المجادلات واحتدام النقاش ورفع الأصوات، فإن عاقبة ذلك سيئة، بل نتحاور في هدوء، ونتناقش فيما اختلفنا فيه مع التزام أدب الحديث والحوار والمجلس.

٤- **النميمة:** وهي من أسباب الشحناء والقطيعة والتنافر، ووسيلة إلى التفريق بين الناس وإفساد قلوبهم، ولذا جاء الترهيب منها شديدا في الدين الحنيف. عن حذيفة رضي الله عنه أنه بلغه أن رجلا ينم الحديث. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يدخل الجنة **نمام**) رواه مسلم.

وهي من أسباب عذاب القبر، فقد مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال: "إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، فذكر أن أحدهما كان يمشي بالنميمة" متفق عليه. إن في المجتمع أفرادا مرضت قلوبهم، وفسدت نفوسهم فسعوا في الإيقاع والإفساد بين الناس بنقل

الكلام لهذه الغاية وصاروا من جنود إبليس، فاحذر النميمة، واحذر أن تصدق النمام أو تقبل كلامه.

٥- **الحسد:** وهو تمني زوال النعمة عن الغير، وهو سبب منتشر للكراهية والنفرة بين بعض المسلمين، يحسد أخاه بسبب تفوقه عليه في الوظيفة، أو في المال من تجارة أو عقار أو غير ذلك، أو تفوقه بشهرة ومحبة عند الناس أو لغير ذلك مما يحصل غالباً بين الأقران.

وهذا الحسد يشتعل في نفس الحاسد، ويقوده إلى غيبة المحسود أو البهتان عليه، أو السعي في إضراره، أو الاعتداء عليه في بدنه أو ماله أو عرضه، فتنشأ العداوات والبغضاء بسبب هذا الحسد، وما علم الحاسد أنه بهذا كأنه يعترض على قدر الله الذي ساق نعمه لذلك المحسود.

ولذا على المرء أن يعلم ويؤمن أن الله عليم حكيم، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، لا راد لقضائه ولا

معقب لحكمه، فيطمئن قلبه، وينشرح صدره، ويحمد ربه ويرضى بما قدر له، وإذا رأى أو سمع نعمة لأحد فيعود لسانه أن يقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، وأيضا فيلجأ الإنسان نفسه وأهله من شر الحاسدين كما جاء في سورة الفلق.

٦- كثرة المزاح: أصل المزاح مطلوب في العلاقات بين الأصدقاء والأصحاب، لكنه إذا زاد أورث الضغينة والشر، والمزاح كالملاح للطعام قليله يكفي، وإن كثر أضر وأهلك.

٧- العجب والكبر: فإن من تكبر على الناس وأعجب بنفسه، رآهم دونه، وأنه فوقهم فيحتقرهم ويأنف من صلتهم ومجالستهم، فيبادلونه شعور الكراهية والبغض.

وأخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح أنه: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" رواه مسلم.

فعلى المسلم أن يعرف قدر نفسه، وليحذر غاية الحذر من التكبر والإعجاب بنفسه أو علمه أو منصبه أو منزله أو سيارته أو غير ذلك، وليعلم المرء أن من تواضع لله رفعه الله، وزاد قدره عند الناس.

٨- سوء الظن: فكم فرق سوء الظن بين اثنين، وكم زرع من عداوات وقطيعات بسبب ظنون موهومة، وتوقعات مزعومة.

يقول تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦] وقال النبي ﷺ: ( إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب

الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا،  
ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد  
الله إخواناً) رواه مسلم.

إن بعض الناس يسير في تعامله مع الناس على مبدأ  
غريب يقوم على الشك والريبة، وحمل التصرفات أو  
الأقوال التي يسمعها على أسوأ المحامل، فيقول: قال فلان  
اليوم كذا وقصده كذا، وفعل فلان كذا وقصده كذا،  
ويضخم الأمور، ويعيش المسكين في أوهام وخيالات  
يتعب بها نفسه وتفكيره، ولو أنه أحسن الظن لارتاح في  
نفسه، وطابت له حياته، وانشرح صدره، وتوثقت علاقته  
بالآخرين، وصار يحبهم ويحبونه.

قال بعض السلف: لا تظن بكلمة خرجت من  
أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً.

وقال ابن سيرين رحمه الله: إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرا، فإن لم تجد فقل: لعل له عذرا لا أعرفه.

٩- التنافس على الدنيا: والمراد التنافس المذموم المؤدي إلى الوقوع في المحرمات والعداوات والمشاحنات، وهذه الدنيا كلها أحقر من ذلك كله، فهي فانية زائلة:

وما هي إلا جيفة مستحيلة \*\*\* عليها كلاب همهن اجتذباها  
فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها \*\*\* وإن تجتذبا نازعتك كلابها

عن عمرو بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه وآله قال: (والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم) متفق عليه.

## • أسباب سلامة الصدر.

إن مما يعين المرء على سلامة صدره وطهارة قلبه أن يعمل بأسباب ذلك مما جاء في الكتاب والسنة، وما دلت عليه تجارب الناس في تعاملهم مع بعضهم، ومن ذلك:

١-٣. ما جاء في التوجيه النبوي الذي رواه زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعاً: (ثلاث لا يغفل عليهن صدر مسلم: إخلاص العمل لله عز وجل، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين) رواه أحمد بسند صحيح، قال ابن الأثير عند هذا الحديث: "إن هذه الخلال الثلاث تستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدغل والشر".

فمن امتثلها طهر قلبه من الغل والحقد والشحناء.

٤- ومن أسباب سلامة الصدر: دعاء الله تعالى أن يجعل قلبك سليماً من الضغائن والأحقاد على

إخوانك المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وكان من دعاء النبي ﷺ: رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي واهد قلبي وسدد لساني وثبت حجتي واسل سخيمة قلبي. رواه أبو داود بسند صحيح، والسخيمة: الغل والحقد.

٥- ومن أسباب سلامة الصدر: الإقبال على كتاب الله تعالى الذي أنزله شفاء لما في الصدور، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، [يونس: ٥٧]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا

هُدًى وَشِفَاءً ﴿ [فصلت: ٤٤]، فكلما أقبلت - يا  
عبدالله - على كتاب الله تلاوة وحفظا وتدبرا وفهما صلح  
صدرك وسلم قلبك.

٦- أن يعود المرء نفسه على محبة الخير  
للمسلمين، وأن يتمنى النعمة لهم، ويربي أولاده على هذا  
الشعور. عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي  
بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره - أو قال  
لأخيه - ما يحب لنفسه) متفق عليه.

٧- تحقيق الإيمان بالقضاء والقدر، ورضا العبد  
عن ربه وامتلاء قلبه به، فالمؤمن الحق يسبح في فضاء  
القضاء، يُسَلِّم لأمر الله الكوني، ويعلم أن الأرزاق  
والمواهب مكتوبة مقضية، فيعيش مطمئن البال قدير  
العين، لا يحسد أحدا على فضل أعطاه الله إياه.

٨- ومن طرق إصلاح القلب وسلامة الصدر:  
 إفشاء السلام بين المسلمين، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن  
 النبي ﷺ قال: ( لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا  
 تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه  
 تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم) رواه مسلم.

٩- الابتسامة، فلها أثر عجيب في صفاء النفوس  
 وتقريب القلوب، ولذا حث الشرع عليها، فعن أبي ذر  
رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (تبسمك في وجه أخيك  
 لك صدقة) رواه الترمذي بسند صحيح، وكان هذا من هدي  
 النبي ﷺ الذي ملك به القلوب، كما قال جرير بن  
 عبدالله رضي الله عنه : ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا  
 رأني إلا تبسم. رواه الترمذي بسند صحيح.

١٠- ومنها: الهدية، فلها أثر عجيب في توطيد  
 المحبة، وتنقية العلاقات التي يشوبها شيء بين الناس، عن

أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه قال: "تهادوا تحابوا" رواه البخاري في الأدب بسند حسن.

١١- تخفيف مخالطة الناس، وعدم البحث والتفتيش عن أحوالهم، وماذا فعل فلان؟ وماذا فعلت فلانة؟ وفي الحديث عن النبي صلوات الله عليه: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).

١٢- اختيار الألفاظ المناسبة والمهذبة في الحديث مع الناس، ومراعاة مشاعرهم أثناء الحديث معهم، فإن الشيطان يتسلل بين الكلام فينزغ بين الإخوان لكلمة خرجت، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

١٣- تذكر الحساب والعقاب، فمن أيقن بالحساب بعد الموت وأن المقاضاة هناك بالحسنات والسيئات عزَّ عليه أن تكون في رقبته مظلمة لأحد.

ونختم الحديث بتنبيه في هذا الموضوع، وهو ما يظنه البعض أن سلامة الصدر تعني الضعف والسذاجة وأن يكون المرء مغفلاً يخدعه الناس ويضحكوا عليه، وليس الأمر كذلك، قال ابن القيم رحمه الله: "الفرق بين سلامة القلب والبله والتغفل: أن سلامة القلب تكون من عدم إرادة الشر بعد معرفته، فيسلم قلبه من إرادته وقصده لا من معرفته والعمل به، وهذا بخلاف البله والغفلة فإنها جهل وقلة معرفة، وهذا لا يحمد إذ هو نقص، وإنما يحمد الناس من هو كذلك لسلامتهم منه. والكمال أن يكون عارفاً بتفاصيل الشر سليماً من إرادته. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

لست بخب ولا يخدعني الخب. وكان عمر أعقل  
من أن يُخدع، وأورع من أن يَخْدع".

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على  
الرشد، ونسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك،  
ونسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، ونسألك قلباً  
سليماً، ولساناً صادقاً، ونسألك من خير ما تعلم، ونعوذ  
بك من شر ما تعلم، ونستغفرك لما تعلم، إنك أنت  
علام الغيوب، ربنا تقبل توبتنا واغسل حوبتنا وأجب  
دعوتنا واهد قلوبنا وسدد ألسنتنا وثبت حجتنا واسل  
سخيمة قلوبنا.

كتبه / خالد بن عبدالعزيز الباتلي  
batli28@gmail.com

تم بحمد الله